الإسلام والصحة

للأستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

واعظ مركز شبين القناطر

(٣)

مشروعية التداوى .

ولما كان بنو آدم عرضة للآلام والأمراض نجد الدين يأمرهم بالتداوى من كل مايعرض لهم من علل وأسقام روى الامام أحمد فى مسنده عن أسامة ابن شريك قال : « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال نعم ياعباد الله تداووا، فإن الله عزوجل لم يضع داء (أى مرضا) إلا وضع له شفاء (أى قدر له دواء) غير داء واحد . قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم (أى كبر السن) وفى حديث الترمذى « تداووا ياعباد الله ؛ فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا السام (يعنى الموت) وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء (أى ما وضع الله مرضا فى جسم الا أنزل له شفاء) وعن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه: « إن الله عزوجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » وروى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لكل داء دواء فإذا أصيب (أى وجد) دواء الداء (ثم تناوله المريض برىء باذن الله عز وجل » .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « لكل داء دواء » تقوية لنفس كل من المريض والطبيب ، وترغيب فى طلب ذلك الدواء والبحث عنه رغبة فى الحصول عليه ؛ فإن المريض إذا أعتقد بأن لمرضه دواء يزيله . ويريحه من آلامه : برأ من حرارة اليأس ، وانفتح له باب الرجاء ، وتحسنت حالته المعنوية . . وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء : استطاع أن يبذل قصارى جهده فى سبيل طلبه حتى يتيسر له ويهتدى إليه

العلاج النفسى :

وأنا لنرى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل ، فإن ذلك لا يرد شيئاً وهو مطيب نفس المريض » علاجاً نفسياً هاما سار عليه الطب النفسى الآن ، فإنه يوصى بتقوية نفس المريض ، والعمل على تخليصه من غزو الأوهام المضرة : بالتفاؤل وفتح باب الأمل . . كتب طبيب أمريكى شهير يقول . مارست مهنة الطب تسعة وعشرين عاماً ، لم أصارح أثناءها مريضاً بأن حالته ميئوس منها ، فاذا كان ذلك يعنى أننى كاذب فأنا فخور بذلك ! ! لقد اعتدت أن أحول تفكير المريض دائماً نحو الشفاء ، وأوحى إليه مهما تكن حالته سيئة أنه فى أمان تام من خطر المرض ، وليس أيسر من استعادة صحته وعافيته كاملتين فى أقرب وقت ، وكثيراً ما كان يتهمنى بالجهل والاهمال أقارب المرضى ، لأنهم حسبوا أننى لم أتبين حقيقة المرض أو طبيعته ، ولكنى لم أعبأ بهذا الاتهام ؛ لاعتقادى أننى أديت بما تعمدته من الكذب واجباً مقدساً نحو المريض ، فقاومت فى نفسه عوامل القلق وبعثت فى نفسه الأمل بضع ساعات

موقف الاسلام والطب من التداوى بالخمر :

غير أنه لا يجوز التداوى بمحرم كالخمر وكل مسكر :

لحديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بالمحرم » وعن أبى موسى الأشعرى قال : قلت يارسول الله أفتنا فى شرابين كنا نصنعهما باليمن . البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى جوامع الكلم بخواتيمه فقال : « كل مسكر حرام » متفق عليه وعن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » رواه أحمد وابن ماجة والدار قطنى وفى رواية أخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام » (الفرق بفتح الفاء والراء : مكيال يسع ستة عشر رطلا) . .

ولحديث وائلة بن حجر أن طارق

ابن سويد الجعفى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها!! فقال : وإنما أصنعها للدواء قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء ، رواه مسلم وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يجعل فى الدواء فقال : « إنها داء وليست بالدواء » رواه أبو داود والترمذى وقال عليه الصلاة والسلام فى معرض التحذير والتنفير منها : « من تداوى بالخمر فلا شفاه الله » وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»

وقد ذهب أساطين الطب الحديث إلى ماذهب إليه بنو الاسلام..فقرروا أن الخمر قليلها وكثيرها لاتصلح أن تكون دواء لأى داء من أنواع المرض وأن الادمان على تعاطيها ينتج عنه الاصابة بشتى الأدواء : كالتليف الكبدى ، واستسقاء فى البطن ، وتصلب الشرايين ، وأمراض القلب والكلى والنزيف المخى ، وضعف أو فقدان المدارك الحسية والعقلية . . .

يقول الدكتور « كبلدج » من كان عنده أقل ريب أوظل من الشك فى أن الخمر سم فليعتبر بما يكون عند وصولها إلى المعدة ؛ فان الغشاء المخاطى يصير محتقناً ، ويخرج مقدارا من المخاط ليحمى نفسه ، وترى غدد المعدة وقواها الدافعة تسرع فى اخراج ماوصل إليها بأسرع مايكون ، أو ليس ذلك مزيلا لشك الشاكين وريب المرتابين ، فى أن الخمر من أنواع السموم ؟ ! وقال الأستاذ « كينج » الطبيب الألمانى . إن المشروبات الروحية ليست الا جيشاً من الأمراض المفصلة ، وينبوعاً يفيض بمختلف الجرائم .. ثم هى طاعون يتلف الذر قبل التخلق أو يقتل الجنين خلا الحمل أو الوضع ، ومن ولد من هؤلا حيا عاجله فى أذاه بمهده وإذا قدر أن يفلت من فتكه وهو فى المهد فانه سيعيش معرضاً للأمراض المعض أو العاهات الملازمة أما تأثيرها أبدان شاربيها ونفوسهم ، فانها تنه قواهم ، وتضاعف عللهم ، وتق عللهم ، وتميت ارادتهم ، وتضعف فيهم الشعور بالتبعات العامة والخا ثم هى تظاهر الأمراض الخبيثة كالزه والسل على المصابين بها ، فاما تعجل بآجالهم ، أو تعوق عنهم شفا وقال الدكتور « ملر » الاسكوتلا ان الخمر لاتشفى شيئاً وقال الدك

« هيجينو توم » لاأعلم مرضاً قط شفى بالخمر .

وإذا كان هناك من الأدوية الخاصة الطاهرة ، والمستحضرات الطبية الحديثة مايشفى من الأمراض على اختلاف أنواعها ، إذا أصابت الأدواء مواطن الداء اللهم إلا فى بعض الحالات . كالشيخوخة والسام ، أفلا يكون من التهاون ورقة الدين وضعف اليقين اللجوء إلى التداوى بالمحرمات كالخمور والمسكرات ! !

وإنى لفى عجب من بعض الأقوام الذين يزعمون أن ترك التداوى من التوكل ومن الرضا بالقضاء والقدر وكثيراً مانسمع منهم ولا سيما العوام حينما يصاب أحدهم بمرض فيستكين أمامه ويخنع له ، وإذا أمره أحد العقلاء بعرض نفسه على أحد الأطباء ردد فى بلاهة هذه العبارة المشهورة « الطبيب ربنا » « المداوى هو الله » وكأنه قد فاتهم أن ربط الأسباب بمسبباتها لاينافى التوكل على الله كيف وقد احتجم النبى صلى الله عليه وسلم فى رأسه ، كما ثبت أيضا . أنه بعث إلى أبى بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه » . ودخل على مريض يعوده فقال . « أرسلوا إلى الطبيب فقال له قائل . وأنت تقول ذلك يارسول الله ؟ قال . نعم » وعن زيد ابن اسلم أن رجلا أصابه جرح فاحتقن الدم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له برجلين من بنى أنمار . . فقال . أيكما أطب ؟ فقال رجل . أوفى الطب خير ؟ قال . الذى أنزل الداء أنزل الدواء » وفى المسند والسنن عن أبى خزامة رضى الله عنه قال . قلت يارسول الله أرأيت رقى فسترقيها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها . هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال هى من قدر الله وورد فى بعض الآثار أن ابراهيم الخليل عليه السلام سأل ربه مرة فقال « يارب الداء ممن ؟ قال . منى يا ابراهيم قال يارب والشفاء ممن قال منى . يا ابراهيم . . قال يارب إذا كان الداء منك والدواء منك والشفاء منك . فما بال الطبيب ؟ قال يا ابراهيم انما الطبيب رسول أرسل الشفاء على يديه » وفى رواية أخرى « الطبيب رجل أرسل الدواء على يديه » وأثر أيضا عن نبى الله موسى عليه السلام أنه قال . يارب ممن الداء والدواء ؟ فقال تعالى منى قال فما يصنع الأطباء ؟ قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادى حتى يأتى شفائى أو قضائى »

قال الشاعر الحكيم :

إن الطبيب له علم يدل به
مادام فى أجل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انقضت أيام مهلته
حار الطبيب وخانته العقاقير

وإن من أهم مايجب على المريض مراعاته : أن ينتصح بنصح الطبيب ، ويعمل بإرشاداته ، ويلتزم مشورته ، قال شيخ الأطباء أبقراط اليونانى لأحد المرضى ممن كان يعالجهم : « أنا والعلة وأنت ثلاثة ، فان اعنتنى عليها بالقبول منى لما تسمع صرنا اثنين وانفردت العلة ، فقوينا عليها .. والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه

بهذا يتبين لنا بوضوح أن التداوى من الأمراض والأوجاع مندوب إليه ومرغوب فيه .

من جواهر

الإمام الغزالى

الورع

... ليس الورع فى الجبهة حتى تقطب ، ولا فى الخد حتى تصعر ، ولا فى الظهر حتى ينحنى ولا فى الرقبة حتى تطأطىء ، ولا فى الذيل حتى يضم ، إنما الورع فى القلوب .. أما من تلقاه ببشر . فيلقاك بعبوس ، يمن عليك بعلمه . فلا أكثر الله فى المسلمين من أمثاله .

من أسرار النفس .؟

... إذا رأيت إنساناً سيىء الظن بالناس ، طالبا للعيوب فأعلم أنه خبيث فى الباطن ، والمؤمن سليم الصدر ، فى حق كافة الخلق ...

الرضا ...

... إنى رأيت الناس يذم بعضهم بعضا ، ويغتاب بعضهم بعضا ، فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم ، فتأملت قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » فقلت إن القسمة كانت من الله تعالى فى الأزل ، فما حسدت أحدا ورضيت بقسمة الله .

العلماء ...

... إذا رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ، ولا يستأنسون . فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم خاسرون .